

المبحث الثاني

الجمعيات لسرية

تعتبر الفترة الممتدة بين بداية سنة ١٩١٩ واواسط سنة ١٩٢٠ فترة تحشيد وتنظيم المقاومة الوطنية للاحتلال البريطاني والمطالبة بالاستقلال التام للقطر العراقي ، ووصلت تلك المقاومة الذروة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ باندلاع الثورة العراقية .

من العوامل التي عجلت في تعاضم المقاومة الوطنية للاحتلال سوء وتعسف الادارة العسكرية للمحتلين وتزايد حجم الضرائب التي تجبى من السكان وتدهور الوضع الاقتصادي هذا فضلا عن ان الحكومة البريطانية نفسها لم تعلن عن عزمها على انتهاء الاحتلال العسكري واقامة نوع من الحكم الوطني وفاء للوعود التي قدمت للعراقيين اثناء الحرب وبعد الهدنة . وعندما تبين ان ازالة الاحتلال ونوال الاستقلال لا يتأتى بواسطة الانتظار والاستسلام بل انه يتم عن طريق تنظيم الحركة الوطنية وتحديد اهدافها ثم العمل على تحقيق تلك الاهداف . ولما كان العمل الحزبي العلني امرا مستحيلا في ظل الاحتلال البريطاني لذلك تكتلت العناصر القومية الوطنية في جمعيات سرية وبدأت تكافح في سبيل انتهاء الاحتلال وتأسيس دولة عراقية مستقلة .

من تلك الجمعيات السرية جمعية العهد العراقي ، ورثة جمعية العهد التي كان قد اسسها عدد من الضباط العرب في القسطنطينية قبيل الحرب العالمية الاولى . غير ان حكومة الاتحاديين سرعان ما اكتشفت امر الجمعية فقررت في اوائل سنة ١٩١٤ تشيبت اعضائها والتنكيل بهم وبعد قيام الثورة العربية في الحجاز اجتمع الضباط العراقيون المنضمون للثورة وقرروا اعادة تنظيم نشاطهم السياسي ضمن جمعية اطلق عليها اسم جمعية العهد العراقي . وقد جعلت مدينة دمشق مقرا لتلك الجمعية في اعقاب تأسيس الدولة العربية في الشام في اواخر ١٩١٨ . وصار ياسين الهاشمي رئيسا للجمعية ، كما كان بين صفوفها شخصيات لعبت فيما بعد دورا مهما في الحياة السياسية العراقية امثال جميل المدفعي وجعفر العسكري ونوري السعيد ومولود مخلص . سايرت الجمعية الوعي الوطني للشعب العربي وتضمن منهاجها الصنادق في عام ١٩١٩

المواد التالية : -

- ١ . استقلال العراق استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية .
- ٢ . طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا على ان تكون هذه المساعدة بالثمن وان لا تمس باستقلال العراق التام .

٣ . انهاض الشعب العراقي ليارى ارقى الامم الغربية .

٤ . السعي لخير الامم العربية .

الى جانب هذه المواد اعلنت الجمعية عن رغبتها في ان يكون نظام الحكم في العراق ملكيا دستوريا يتقلد العرش فيه احد ابناء الشريف حسين ملك الحجاز . وقد تأسس للجمعية فرعان : احدهما في الموصل برئاسة محمد روف الغلامي ، والثاني في بغداد برئاسة الشيخ سعيد التقشبندي . وكان فرع الموصل على جانب كبير من النشاط وعلى اتصال دائم بمقر الجمعية العام في دمشق فضلا عن اتصالاته المستمرة بالعشائر والجهات المعنية بالحركة الوطنية .

سعى العهدين الى تحقيق مطالبهم عن طريق المفاوضات وتنظيم الاحتجاجات والتقدم بالنداءات الى المؤتمرات الدولية وقد ادى عدم تلبية بريطانيا لمطالب جمعية العهد الى تفاؤ صبر قسم من العهدين ومحاولتهم تنفيذ برنامجهم بمساعدة اعداء بريطانيا ومنافسها . وحاول المركز العام للجمعية الحصول على تأييد الولايات المتحدة وبعث بالتماس الى الرئيس ويلسون بهذا الصدد . كما اغتنم فرصة وجود لجنة الاستفتاء الامريكية كك - كرين في الشام فاظهر لها رغبته في استقلال العراق ورفع الحواجز السياسية والاقتصادية بينه وبين سوريا . ومن الاعمال التي قامت بها جمعية العهد العراقي ارسال حملة عسكرية من سوريا الى تلعفر بقيادة جميل المدفعي نجحت في احتلال وابعاد الانكليز عنها فترة من الزمن عام ١٩٢٠ كذلك كان المركز العام للجمعية يتراسل مع شيوخ العشائر وعلماء الدين وغيرهم من الوطنين وبحثهم على الكفاح ضد الاحتلال البريطاني . وعلى كل فان اعضاء فرع بغداد للجمعية قد اختلفوا فيما بينهم فانفصلت عنه جماعه من المثقفين واسست في اواخر ١٩١٩ جمعية حرس الاستقلال السرية .

احتلت جمعية حرس الاستقلال موقعا اكثر صلابة من جمعية العهد وقامت بنشاطها الوطني التحرري وخاصة في بغداد ومنطقة العراق الاوسط . ومن اشهر قادتها على البركان ومحمد الصدر ويوسف السويدي ومحمد باقر الشبيبي وعارف حكمت ومحمود رامز وجعفر ابوالتمن وبهجت زينل وجلال بابان وناجي شوكت وقد نجحت الجمعية في تأسيس فروع لها في بغداد والكاظمية والشامية والنجف والحلة وبعقوبة .

احتوى منهاج الجمعية على جملة مواد منها :-

١ . استقلال العراق والشام .

٢ . تأليف حكومة دستورية في العراق برئاسة احد انجال الملك حسين .

٣ . بذل الجهود للانضواء الى لواء الوحدة العربية والتعاون مع الجمعيات الاخرى .

وقد اقترن نشاط جمعية حرس الاستقلال بتأسيس المدرسة الثانوية الاهلية (التي سميت بالتفويض الاهلية فيما بعد) في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ والتي صار على الزركان مديرا لها . اعلنت المدرسة لسلطات الاحتلال انها تستهدف نشر الثقافة والتعليم لكن اهمية المدرسة السياسية سرعان ما اصبحت اكثر من اهميتها التعليمية وصارت تعقد فيها الاجتماعات السرية لجمعية الحرس .

واعظم نجاح حققته الجمعية هو اقامة علاقات تنظيمية مع المؤسسات الدينية ورؤساء القبائل في الفرات الاوسط . وقد تكلفت الجهود عام ١٩٢٠ بتأسيس هيئة تنسيق لنشاط حرس الاستقلال ورجال الدين البارزين وشيوخ القبائل دعيت بـ مكتب الثورة وحظيت جمعية حرس الاستقلال بمساندة وتأييد الفئات المتوسطة من السكان في بغداد وبعض المدن الاخرى خاصة التجار الصغار والحرفيين ورفعت شعار الاستقلال التام للبلاد . معلنة تصميمها على النضال الحازم من اجل تحقيقه . ولم تستطع الجمعية من توحيد نشاطها مع العهدين لان الاخيرين رفضوا تغيير المادة الثانية من منهاجهم المتعلقة بـ « طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا » بينما اعلنت جمعية الحرس ان بريطانيا ذات مطامع استعمارية في العراق .

ونشطت الجمعية في بغداد باقامة حفلات المولد النبوي وطبعها بالطابع الحماسي الوطني وكانت ابرز تلك الحفلات تقام في جامع الحيدر خانة والكاظمية والسيد سلطان علي والحضرة الكيلانية . وقد ظلت جمعية حرس الاستقلال مستمرة في نشاطها الوطني المناهض للاحتلال البريطاني حتى اندلعت نيران الثورة العراقية في صيف سنة ١٩٢٠ ففرق شمل قيادة الحرسيين اذ التحق قسم منهم بهما كما نفي قسم آخر منهم الى خارج البلاد ، وانحلت جمعية حرس الاستقلال في ١٣ آب سنة ١٩٢٠